نظريات جوهر الربح ومصدره في الاقتصاد الرأسمالي

Contents

1 - عوامل ظهور الربح الاقتصادي: 3
أ - الابتكارات:..... 4
ب - المخاطرة وظروف عدم التأكد:..... 4
ج - الأرباح الاحتكارية: 4
2 - وظائف الربح ودوره: 5
3 - النظريات البرجوازية في تفسير الربح: 5
أ - نظرية عائد رأس المال: 6
ب - نظرية (الربح لقاء العمل الذي يقوم به الرأسمالي):..... 7
ج - نظرية (الربح مكافأة عن المخاطرة التي يتحملها الرأسمالي):... 7
د - نظرية (الربح ثمن الابتكار): 7

نظريات جوهر الربح ومصدره في الاقتصاد الرأسمالي

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

المقدمة:

الربح نوع آخر من الدخل الناشئ عن الملكية إلى جانب الفائدة والريع. ويختلف مفهوم الربح بالنسبة للاقتصاديين عن مفهوم الربح بالنسبة للمحاسبين. فالربح، وفقاً لوجهة نظر المحاسبين هو المبلغ الذي يبقى للرأسمالي بعد أن يقوم بدفع الأجور والفائدة والريع، وبعد أن يدفع قيمة مستلزمات الإنتاج، واقتطاع نسبة تعادل اهتلاك الأبنية والتجهيزات. ويختلف الاقتصاديون في ذلك عن المحاسبين لأنهم يعتقدون بوجوب اقتطاع تكاليف الفرصة للعمل ورأس المال والأرض أيضاً التي يسهم بها مالك المشروع. [1]

يتحقق الربح الرأسمالي، وبغض النظر عن الشكل الذي يظهر به، من خلال استغلال العمال المأجورين، هذه الفئة الوحيدة التي تخلق كل الخيرات المادية التي يتم إنتاجها ضمن عملية الإنتاج الرأسمالي.

ويعد طموح الشركات الرأسمالية في تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح، المحرك الأساسي لنمو الإنتاج والتبادل وتطورهما في الاقتصاد الرأسمالي. وهذا يعني أننا إذا لم نتمكن من توضيح جوهر الربح ومصدره فإننا لا نستطيع فهم جوهر أسلوب الإنتاج الرأسمالي بشكل كامل.

يبدو لأول وهلة أن الربح يتحقق عندما يقوم الرأسمالي ببيع بضاعته بسعر أعلى من سعر الشراء. هذا التوضيح غير كاف. ذلك لأن تبادل البضائع لا يخلق أية قيمة جديدة. بل إن القيمة المضافة في مجمل الاقتصاد لا تنجم عن التبادل غير المتعادل. حين يتم البيع بأعلى من القيمة فإن هذا يعني أن الربح يتحقق للبائع مقابل الخسارة التي لحقت بالشاري، أي أن أرباح البائعين سوف تعادل خسارة المشترين، والقيمة بقيت على حالها دون أية زيادة.

مما تقدم نجد أن الربح لا يتحقق في مجال تداول البضائع، بل يتحقق فقط في مجال الإنتاج، ولا يمكن أن تكون وسائل الإنتاج المستخدمة في عملية

[1] - أدوين مانسفيلد وناريمان بيهرافيش، علم الاقتصاد، تعريب مركز الكتب الأردني، عمان 1988، ص645.

الإنتاج مصدراً للربح، لأن وسائل الإنتاج هذه لا تستطيع أن تنتقل إلى المنتج النهائي بقيمة جديدة أكبر من قيمتها حال استخدامها في عملية الإنتاج. وبذلك تكون قوة العمل التي يستخدمها العمال في عملية الإنتاج هي المصدر الوحيد للربح، لأن قوة العمل يمكن أن تظهر في المنتج النهائي بقيمة أكبر من القيمة التي باعها العامل للرأسمالي أثناء عملية الإنتاج. بعبارة أخرى يحصل العامل على جزء من قيمة قوة العمل التي باعها الرأسمالي، على شكل أجر، والجزء الباقي يذهب إلى جيب الرأسمالي، على شكل فائض القيمة، وهذا يحصل بسبب أن الرأسمالي يملك وسائل الإنتاج، أما العامل فهو لا يملك سوى قدرته على العمل، وهو مكره على تأجيرها للرأسمالي مالك وسائل الإنتاج في سبيل تأمين وسائل العيش له ولأسرته. وبذلك تكون قوة العمل في النظام الرأسمالي هي البضاعة الوحيدة التي تتميز بمواصفات خاصة تجعلها قادرة على خلق قيمة جديدة يتم توزيعها بين أجر العامل المدفوع وربح الرأسمالي. [2]

1 - عوامل ظهور الربح الاقتصادي:

عندما تعمل المؤسسات الصناعية في ظل المنافسة الكاملة، حيث تتوفر الحرية التامة للدخول إلى فرع محدد من فروع الصناعة أو الخروج منه، وإذا افترضنا ثبات مستوى المعرفة التقنية، بحيث تستخدم المؤسسات كافة في هذا الفرع المستوى الفني ذاته في العملية الإنتاجية، وإذا كانت جميع المؤسسات تعمل في ظروف التأكد التام فيما يتعلق بالعملية التسويقية ومستقبلها، ضمن هذه الظروف جميعاً، لن تتحقق أية أرباح. لكن الواقع يختلف كثيراً عن الصورة المذكورة أعلاه والظروف التي تمر بها المؤسسات، والاختلافات التي تحدث بين المؤسسات ويترتب عليها عوامل تحقيق الربح منها:

[2] - انظر:
J.Nowicki Zarys Ekonomi Politgcznej Kapitalizmu P.W.E - Warszawa 1977 r. , Str, 67

أ - الابتكارات:

يستمر الإبداع والابتكار في النشاط الصناعي، والابتكارات هي اكتشاف طرائق جديدة يتم باستخدامها في العملية الإنتاجية تحسين الإنتاج كماً ونوعاً. ويرى بعض الاقتصاديين أن الأرباح هي العائد الذي يحصل عليه المبتكرون. وبفعل المنافسة بين المنتجين وتقليد الابتكارات تتناقص الأرباح الناتجة عن اكتشاف أحد المبتكرات، إلا أن هذا يمثل حافزاً لتطوير المبتكرات واكتشاف غيرها بما يعمل على الإبقاء على تلك الأرباح الابتكارية.

ب - المخاطرة وظروف عدم التأكد:

حتى يتم إغراء رجال الأعمال لتوظيف أموالهم وتحمل مخاطر الاستثمار في بعض الأنشطة الاقتصادية، يجب أن يكون هناك مقابل (ربح) لتحملهم تلك المخاطر. وتتفاوت الأرباح تبعاً لدرجة المخاطرة التي يتصف بها النشاط الاقتصادي، وتسمى تلك الأرباح بأرباح المخاطرة.

ج - الأرباح الاحتكارية:

قد يتمتع المنتج أحياناً بمركز احتكاري في السوق حين يقوم بشراء أحد عوامل الإنتاج بالكامل، بذلك يحقق هذا المنتج أرباحاً نتيجة للمركز الاحتكاري، وتسمى هذه الأرباح بالأرباح الاحتكارية، ويقدر الربح الناتج عن الاحتكار الشرائي بالفرق بين ما يدفعه المنتج فعلاً إلى مالك عامل الإنتاج المحتكر، ما كان يمكن أن يحصل عليه في حالة ما إذا كانت المنافسة الكاملة هي التي تسود سوق عامل الإنتاج.

وقد يحقق المنتج أرباحاً احتكارية نتيجة لتمتعه بمركز احتكاري عند قيامه ببيع إنتاجه في السوق، ويقدر الربح الناتج عن احتكار البيع بالفرق بين ما يحصل عليه المنتج المحتكر فعلاً وما كان يمكن أن يحصل عليه لو أنه لم يتمتع بهذا المركز الاحتكاري.

2 - وظائف الربح ودوره:

يرى الاقتصاديون أن للأرباح دوراً مهماً في النظام الاقتصادي الرأسمالي، حيث أن للأرباح في النظام الرأسمالي وظائف عديدة أهمها: [3]

أ - تعد الأرباح المؤشر الذي يحدد مجالات النشاط الاقتصادي حيث تتجه التوظيفات نحو المجالات التي تحقق أرباحاً أكثر في حين تخرج التوظيفات في المجالات التي تعاني من الخسائر. وهذا سوف يستمر حتى يتحقق ما يسمى الاستخدام الأمثل للموارد.

ب - الأرباح حافز على الإبداع والابتكار، فالمؤسسة التي تقوم بابتكار الوسائل التي تؤدي إلى استخدام مواردها بكفاءة أكبر تحصل على أرباح أعلى لقاء ذلك.

ج - تُعد الأرباح حافزاً لرجال الأعمال على اقتحام مجالات استثمارية جديدة وتحمل مخاطر متزايدة. تؤدي إلى فتح مجالات جديدة أمام العملية الإنتاجية، لدعم الاقتصاد الوطني.

د - ويُعد الربح موجهاً للتطور الاقتصادي، ذلك لأن السعي وراء الربح يقوم أصحاب المؤسسات إلى توجيه نشاطهم الاقتصادي.

وبما أن الربح في النظام الرأسمالي يتناسب عادةً مع كمية رؤوس الأموال المستثمرة فإن الرأسماليين يسعون بشكل عام إلى تحويل قسم كبير من أرباحهم إلى رؤوس أموال جديدة يدر عليهم توظيفها أرباحاً أكثر. كما إن السعي وراء الربح يفسح المجال لتطوير مناطق وبلدان مختلفة. فالربح يجذب المستحدثين إلى المناطق الجديدة ويدفع لإقامة منشآت ضرورية لممارسة النشاط الاقتصادي. [4]

3 - النظريات البرجوازية في تفسير الربح:

كان رواد المدرسة التجارية "الميركنتلية" يعتقدون أن الربح يظهر في التجارة الخارجية، ذلك لأن الرأسماليين يبيعون السلع خارج حدود الدولة التي

---

[3] - المصدر السابق ص358-359.

[4] - د. مطانيوس حبيب، الاقتصاد السياسي، منشورات كلية الاقتصاد جامعة دمشق، دمشق، ص212.

تم فيها إنتاجها، وبأسعار أعلى من أسعار شرائها داخل الدولة وبالتالي فهم بذلك يحققون ربحاً.

ثم جاء آدم سميث وديفيد ريكاردو من رواد المدرسة التقليدية (الكلاسيكية)، وأوضحوا أنَّ الربح يظهر في الإنتاج ولا يظهر في مجال التداول. وأضافوا بأن القيمة التي يضيفها العمال إلى قيمة المواد أثناء الإنتاج تنقسم إلى قسمين:

الأول - يذهب كأجور للعمال الذين قاموا بعملية الإنتاج،

الثاني – الربح الذي يحصل عليه أصحاب العمل.

ينظر الاقتصادي الإنكليزي "مارشال" إلى الربح على أنه مكافأة يحصل عليها مدير المؤسسة لقاء الخدمات التي يقدمها للمجتمع. وهذه المكافأة في اعتقاده هي تعويض للعناصر الرئيسة الثلاثة التالية: عنصر رأس المال، وعنصر العمال، وعنصر تنظيم الأعمال الذي يجمع العنصرين الأول والثاني ويدفعهما للحركة والنشاط. ويذهب عدد كبير من الاقتصاديين البرجوازيين إلى أن الربح هو مكافأة يحصل عليها رب العمل لقاء ما يقوم به من عمل في تنظيم الإنتاج. والربح لا يتحقق نتيجة لجهد وعمل الرأسماليين كافة، بل يتحقق لأولئك الرأسماليين الذين يحالفهم النجاح فقط.

مما تقدم نلاحظ أن النظريات البرجوازية تفترض أن الربح ظاهرة مشروعة في النظام الاقتصادي وضرورية لاستمرار التقدم الاقتصادي. كما نلاحظ وجود عدد من النظريات التي تفسر الربح على هذا الأساس أهمها:

أ - نظرية عائد رأس المال:

يسهم في العملية الإنتاجية ثلاثة عوامل رئيسة هي: العمل، رأس المال والأرض، وتشكل عوامل الإنتاج الثلاث المذكورة مصادر لثلاث أنواع من الدخول كل واحد منها مستقل عن الآخر:

العمل - مصدر الأجور.

رأس المال - مصدر الربح.

الأرض - مصدر الريع العقاري.

وحيث إن وسائل الإنتاج هي رأس المال، فإن الربح هنا هو عائد على رأس المال الذي تم توظيفه في العملية الإنتاجية.

ب - نظرية (الربح لقاء العمل الذي يقوم به الرأسمالي):

للرأسمالي دور مهم في العملية الإنتاجية، وتكمن وظيفة الرأسمالي في جمع وتنظيم عوامل الإنتاج وإدارة العملية الإنتاجية. وبذلك يكون الربح الذي يحصل عليه هو الأجر الذي يستحقه لقاء العمل الذي يقوم به ليسهم في العملية الإنتاجية. وعندما تكون وظيفة العمال هي القيام بالأعمال التنفيذية، فإن وظيفة الرأسمالي هي الأعمال التنظيمية. (وبالتالي يكون أجر العمال وأرباح الرأسماليين دخولاً اجتماعية ضرورية أيضاً ومكافأة عادلة عن وظائف اجتماعية ضرورية). [5]

ج - نظرية (الربح مكافأة عن المخاطرة التي يتحملها الرأسمالي):

تتعرض المنتجات التي يتم إنتاجها في اقتصاد السوق إلى نوعين من المخاطر:

الأول - المخاطر التقليدية كالسرقة، والحريق وغيرها،

الثاني - أخطار اقتصادية ترتبط باقتصاد السوق وتقلبات الطلب وعدم إمكان التنبؤ بالمستقبل. ويتعرض الرأسمالي هنا إلى عدد من الأسئلة من الصعب الإجابة عنها أو تكون الإجابة عدداً من الاحتمالات، وحيث أن السوق هو الذي سيقرر صحة أو خطأ أي اختيار، لذلك فإما أن يحقق الرأسمالي النجاح والربح أو أن يتعرض للخسارة والإفلاس. وبذلك يكون الربح الذي يحصل عليه الرأسمالي هو المكافأة التي يحصل عليها نتيجة تعرضه للمخاطرة أثناء العملية الإنتاجية.

د - نظرية (الربح ثمن الابتكار):

يرى بعض الاقتصاديين البرجوازيين " أن الربح بجوهره ليس إلا نتيجة تنفيذ تنظيم جديد". وبذلك فالرأسمالي المنظم هو الذي يدفع النشاط الاقتصادي ويحركه. والربح الذي يحصل عليه ليس إلا مكافأة لابتكارات الرأسمالي

[5] - المصدر السابق ص216.

المتنوعة: تنفيذ منتج جديد، تحسين منتج قديم، اكتشاف تقنية حديثة، تحديث طريقة الإنتاج التقنية، زيادة الإنتاج. وهذا يعني أن الربح ما هو إلا ثمن لعمل احتكاري وهو الابتكار الذي أنجزه الرأسمالي ويستحق عليه المكافأة.

حاولت هذه النظريات تفسير وتبرير حصول الرأسمالي على الربح دون أن تبحث عن مصدر الربح الأساسي. ثم جاءت بعدها النظرية الماركسية وفسرت الربح على أنه شكل متحول من أشكال القيمة الزائدة وله طابع استغلالي.

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

كلية الاقتصاد – جامعة دمشق